

1. مقدمة:

للاستعارة بالغ الأثر في إيضاح الفكرة وتوليد الصور، فكان حري بها أن تلقى اهتماما منقطع النظير من علماء البلاغة بالبحث عن أسرار جمالها وعن أثرها في تقوية وإبراز المعنى وتوضيحه في ذهن المتلقي، حيث كانت محط الأنظار من مختلف التوجهات، لما تحمل من وظائف تكسب المعنى قيمة جمالية وتعبيرية.

وتتناول هذه الدراسة جانبا مهما في بلاغة النص القرآني المتمثل في بلاغة الاستعارة وما تفيده من شرح للمعنى وتأكيده والمبالغة فيه، إذ تكشف عن عديد الصور الجديدة والمعان البديعية في نسيج ألفاظه المتألفة بعضها ببعض، فتتنوع الاستعارة وشدة المبالغة فيها استمال المتلقي واستدرجه، حيث دفعت به لإعمال فكره بإثارة خياله والتأثير في نفسه بتقريب المعنى إلى ذهنه من خلال حسن تصوير الصورة الاستعارية وحسن التركيب فتجعل بذلك السامع أو القارئ يشعر بالمعنى يختلج في نفسه من شدة وقوة تراص ألفاظها، وهذا ما تجلى لنا في آيات سورة البقرة وكان هدفنا من الدراسة، فأوضح ما في الاستعارة تلك الإثارة التي تبلغ بالشعور المقصود حدا بالغا وعليه، ما هي أنواع الاستعارة في سورة البقرة؟ وأين يكمن سر بلاغة الاستعارة في سورة البقرة؟

للتكفل بالإجابة عن هذا التساؤل اتخذ هيكلا للبحث الصورة التنظيمية الآتية، حيث تحدثنا أولا عن مفهوم الاستعارة عند القدماء، ثم عرجنا إلى ذكر أهم تقسيماتها مدرجين تعريف كل واحدة منها بإيجاز، وثانيا حددنا أنواعها التي تضمنتها السورة مع شرحها وتوضيح معناها البلاغي من مختلف وجهات النظر.

2. مفهوم الاستعارة عند القدماء :

تحدث القدماء عن الاستعارة، ويعتبر الجاحظ أول من وضع حد للاستعارة فهي «تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه»¹، وهذا التعريف المختصر مستمد من مقومات المعنى اللغوي، فهو لم يوضح أركانها وخصائصها توضيحا دقيقا، حيث يرى عتيق أنه «كثيرا ما يستعمل في تعليقاته على النصوص عبارات (على التشبيه) (على المثل) و(على الاشتقاق) وهو يعني بها الاستعارة أو المجاز بمعناه العام الذي تندرج تحته الاستعارة، وليس في ذلك غرابة فالاستعارة مجاز علاقته المشابهة»²، أما الجرجاني فتناولها تحت اسم البديع إذ لم يكن التقسيم الثلاثي للبلاغة معروفا، يقول «وأما التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع فلا شبهة أن الحسن والقبح لا يعترض الكلام بهما إلا من جهة المعاني خاصة، من غير أن يكون للألفاظ في ذلك نصيب، أو يكون لها في التحسين أو خلاف التحسين تصعيد وتصويب»³ ثم قدم مفهوما عاما، قائلا «اعلم أن "الاستعارة" في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله

الشاعر أو غير الشاعر في ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هنا كالعارية»⁴، حيث جعلها ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل، وقسم المجاز إلى لغوي وعقلي، وأطلق على الأول اسم الاستعارة، يقول القزويني «والدليل على أن الاستعارة مجاز لغوي، كونها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا لأمر أعم منهما»⁵، فسر بلاغة الاستعارة عند الجرجاني قائم على إثبات معنى يفهم من معنى اللفظ لا من اللفظ نفسه، ويعرفها العسكري بأنها «نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيد والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة»⁶ فهي نقل للكلمة من معنى وضعت له إلى معنى آخر لم توضع له في أصل اللغة فهو يبين ويوضح الأغراض التي يكون فيها هذا النقل مفيداً كشرح المعنى بتقريبه من ذهن السامع وتوضيحه وتأكيد فيه نفسه، أو أن يتضمن إفادة للاقتصاد على ذهن السامع بالإشارة إلى المعنى الكثير بلفظ قليل، وللجرجاني رأي آخر في من يرى بأن الاستعارة نقل للعبارة، يقول «وإطلاقهم في الاستعارة أنها نقل للعبارة عما وضعت له من ذلك فلا يصح الأخذ به... واعلم أن في الاستعارة مالا يتصور تقدير النقل فيه البتة»⁷، وفكرة استبعاده للنقل الحرفي ناتج لمحاولة إثباته فكرة الإدعاء الاستعاري لما يحمله من معنى التفاعل بين طرفي التشبيه، حيث شكلت تلك الفكرة التي طرحها تطوراً غير مسبوق عن تلك الرؤى التي ركزت على النقل الحرفي فالأصل في الاستعارة يعود إلى المعنى دون اللفظ، وفكرة "الإدعاء" التي سلم بها تكون عن طريق العقل، يقول «فقد تبين من غير وجه أن الاستعارة إنما هي ادعاء معنى الاسم للشيء لا نقل الاسم عن الشيء»⁸، ويبدو أن الجرجاني استعمل مصطلح الادعاء عوضاً عن مصطلح النقل لأنه «كان يحس بقصور هذا المصطلح الأخير من جهة وبأنه مظنة للبس في تصور مزية الاستعارة ومناط القيمة الفنية لها من جهة أخرى»⁹ والملاحظ أنهم أكثروا من استعمال مصطلح النقل في تعريفات ذكرناها وأخرى اطلعنا عليها، وتقييد الجرجاني للنقل في تعريفه بقوله (غير لازم) دليل واضح أن الاستعارة مثلما اعتبرها حسن طبل «لا تقوم بوظيفتها الفنية، إلا إذا كان النقل يمثل فيها انحرافاً دلالياً له جدته وطرافته بالنسبة لعرف الاستعمال، كما ذكر أن التقيد بهذا القيد يدل على أن الكلمة المستعارة لا تقوم بوظيفتها إلا في ضوء من تمثل علاقتها بمعناها الوضعي»¹⁰ وحاصل النظر، أنه رغم الاختلاف في المنطلقات ووجهات النظر، إلا أن الأسس كانت ثابتة واضحة باعتبارها ظاهرة لغوية يتم فيها استعمال لفظ عوضاً عن آخر على أساس التشابه بين الطرفين. وقسمت الاستعارة إلى تصريحية ومكنية، فالتصريحية «ما صرح فيها بلفظ المشبه به»¹¹، أما المحدثين فإنهم لم يقسموها هذا التقسيم «لأن جمال الصورة الاستعارية ينبع من نوعها أي ننظر إليها بوصفها رمزا لا شعوريا يكتسب قيمته من سياقاته الداخلية والخارجية»¹² فالجرجاني تنبه إلى ذلك حينما رأى أن جمال الاستعارة لا يكون من المشابهة وحدهما،

بل من حصول تقديم وتأخير في التركيب. وإلى أصلية وتبعية. فالأصلية «هي ما كان اللفظ المستعار أو اللفظ الذي جرت فيه اسما جامدا غير مشتق»¹³ والتبعية «إذا لم يكن المستعار فيها اسم جنس غير مشتق، ويدخل في هذا الفعل والاسم المشتق والحرف وسميت تبعية لأنها تابعة لاستعارة أخرى تجري في المصدر»¹⁴، ومن حيث اتصالها بالملائم وعدمه إلى ثلاثة أقسام: المرشحة «ما ذكر معها ملائم المشبه به، والمجردة ما ذكر معها ملائم المشبه»¹⁵ والمطلقة: التي لم تقترن بما يلائم المستعار له أو المستعار منه أو تقترن بما يلائمهما معا»¹⁶، والتمثيلية «تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو من أمور أخرى ثم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه»¹⁷، ويرى محمد مسعد أن الصورة الفنية «تصنف وفقا للأدوات التي تستخدمها إلى الصورة التشبيهية، والصورة الاستعارية، والصورة الرمزية»¹⁸ وترجع أهميتها «إلى قدرتها على الإحياء والإيماء واعتمادها على التلميح بدل التصريح... ويستطيع التصور الاستعاري بما فيه من عناصر إيحائية أن يعطي الكثير من المعاني باليسير من اللفظ»¹⁹ وبهذا فهي ذات صلة وثيقة بالخيال بانتقال ذهن المتلقي من معنى لآخر.

3. نماذج من الاستعارة في سورة البقرة:

القرآن معجز ببلاغته ونظمه، فاقت بلاغة ألفاظه فصحاء العرب وتحداهم بالإتيان ولو بسورة من مثله، ولهذا انبرى طائفة من المفسرين على تفسير آياته لمعرفة جمال بناء النص القرآني وإعجازه، ويرى ابن عاشور أن «لعلمي البيان والمعاني مزيد اختصاص بعلم التفسير لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية، وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني وإظهار وجه الإعجاز»²⁰، فالمفسر يجب أن يكون ضليعا متمكنا من علم البلاغة متمرسا بقواعد بلاغة الكلام وعارفا بأساليب العرب المبتوثة في أشعارهم وخطبهم. في سورة البقرة أكثر من عشرين آية تتضمن الاستعارة، نذكر بعضها منها:

قال تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾ البقرة(7)، الختم لا يكون للقلوب ولا للأسماع، وإنما «الختم حقيقته السد على الإناء والغلق على الكتاب بطين ونحوه»²¹

ذكر الألوسي بعد أن نفى ورود المعنى الحقيقي للختم «أن الختم استعير من ضرب الخاتم على نحو الأواني لإحداث هيئة في القلب والسمع مانعة من نفوذ الحق إليهما كما يمنع نقش الخاتم من نفوذ ما هو بصدد الانصباب فيها فيكون استعارة محسوس لمعقول بجامع عقلي وهو الاشتغال على منع القابل عما من شأنه أن يقبله ثم اشتق من الختم ختم ففيه استعارة تصريحية تبعية»²²، ويخلص أبو السعود إلى اعتبارها استعارة تمثيلية، فيرى أن «من رام تقليل الأقسام عند تلك الهيئة المشبهة بها من قبيل المدلولات الوضعية وجعل الكلام المفيد لها عند استعماله فيما يشبه بها من هيئة أخرى منتزعة من أمور أخر من قبيل الاستعارة وسماه استعارة تمثيلية»²³

فهي تمثيلية لأن فيها تصوير لحالة قلوب الكفار وعدم انتفاعهم بها في التمييز بين الإيمان والكفر «فقد شبت قلوبهم في نبوها عن الحق، وعدم الإصغاء إليه بحال قلوب ختم الله عليها، وهي قلوب البهائم»²⁴، شبت هيئة الكفار وبعدهم عن الإيمان وتمسكهم بالكفر وإصرارهم عليه، بهيئة أشخاص ختم على قلوبهم كما يختم على الوعاء فلا ينفذ إليها شيء ولا يتسرب مما فيها أي شيء، واستعمال الختم مجازاً توضيح للقارئ والسامع بأن هؤلاء قد بلغوا مرحلة متقدمة من الكفر فاستحقوا الختم، واستعارة المحسوس للمعقول تجعل من الصورة أكثر توضيحاً وتقوية للمعنى وأعمق أثراً في المتلقي، وصياغة الختم من الفعل الماضي دلالة على أن عدم إيمانهم قد تحقق، ومن بلاغتها أيضاً ورود لفظة (غشاوة) نكرة.

قال تعالى: ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ البقرة(9)، يرى الألوسي «بأن صورة صنيعهم مع الله تعالى حيث يتظاهرون بالإيمان وهم كافرون وصورة صنيع الله معهم حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده أهل الدرك الأسفل، وصورة صنيع المؤمنين معهم حيث امتثلوا أمر الله تعالى فيهم فأجروا ذلك عليهم تشبه صورة المخادعة ففي الكلام إما استعارة تبعية في (يخادعون) وحده أو تمثيلية في الجملة»²⁵، ويرى ابن عاشور أن «يخادعون استعارة تمثيلية تشبهاً للهيئة الحاصلة من مخادعتهم للمؤمنين ولدين الله، ومن معاملة الله إياهم في الإملاء لهم والإبقاء عليهم بهيئة فعل المخادعين»²⁶، حيث أراد المنافقون بفعلهم نقل أخبار المسلمين ودرء القتل عن أنفسهم والحفاظ على مصالحهم فكأنهم يعاملون معاملة المسلمين، فشبه حالهم في إظهاره الإيمان وإضمار الكفر بحال عبد يخادع سيده، فبلاغتها في تأدية المعنى المقصود يتجلى في استعمال صيغة المفاعلة «التي تقتضي المشاركة في المعنى.. لما ذكره من خداع المنافقين، كمقابلة المكر بمكرهم»²⁷ وحسن التعبير «فالتعبير بصيغة المخادعة للدلالة على المبالغة في حصول الفعل، وهو الخدع، أو للدلالة على حصوله مرة بعد أخرى... إذ هم كانوا مداومين على الخدع»²⁸

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ﴾ البقرة(16)، يرى ابن عاشور أن (الاشتراء) قد «يكون مستعملاً في الاستبدال وهو لازمه الأول واستعماله في هذا اللازم مشهور... فيكون الحمل عليه هنا أن اختلاطهم بالمسلمين وإظهارهم الإيمان حالة تشبه حال المهتدي تلبسوا بها فإن دخلوا إلى شياطينهم طرحوها واستبدلوها بحالة الضلال»²⁹ فالمنافقين استبدلوا الغي بالرشاد والكفر بالإيمان، فاستعير لفظ الشراء للاختيار والاستبدال بقرينة لفظية تمنع من أرادة المعنى الأصلي (الضلالة)، يقول الأندلسي «وهذا من باب ترشيح المجاز وهو أن يبرز المجاز في صورة الحقيقة ثم يحكم عليه ببعض أوصاف الحقيقة فينضاف مجاز إلى مجاز»³⁰، ويوضح محمد الأمين الهري «أن الربح مسند إلى أرباب التجارة في الحقيقة، فإسناده إلى التجارة نفسها على الاتساع، لتلبسها بالفاعل، أو لمشايتها إياه من حيث إنها سبب الربح والخسران»³¹ فالأصل أن يسند الربح والخسارة للتاجر والفعل

مسند للتجارة وهو في الحقيقة ملائم له متلبس به، على سبيل الاستعارة المرشحة إذن «الاستعارة المرشحة من أبلغ أنواع الاستعارة، لأن مادة الترشيح تفيد معنى القوة»³² فالقصد منه إنما هو تقوية للمبالغة وتأكيد للمعنى في ذهن المتلقي.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ البقرة (27)، ذكر الله أوصاف الفاسقين في الآيات السابقة وقد زاد من ذمهم بوصفهم أنهم مخالفون لأوامره معرضون عنه، يذكر الألوسي أن النقض «فسخ التركيب، وأصله يكون في الحبل ونقيضه الإبرام»³³، والمقصود بالعهد «الحجة القائمة على عباده الدالة على وجوب وجوده ووحدانيته، وعلى وجوب صدق رسله»³⁴ فذكر المشبه (العهد)، وحذف المشبه به (الحبل) ورمز له بشيء من لوازمه وهو (النقض)، فهي استعارة مكنية مطلقة، ويوضح الزمخشري سر بلاغة المكنية قائلا «إن تصوير المشبه به وتمثله في الخيال مصورا بصورته يعد سر بلاغة هذا النوع، إذ أن الاستعارة المكنية تكون أكثر أحوالها مظهرا لتصور الحياة في الجماد، أو تصوير المعاني بتجسيدها أو تشخيصها... وهذا اللون من التصوير له تأثيره في قوة المعنى وتوكيده»³⁵، وسر بلاغة هذا التركيب وتأثيرها على النفس، ما ذكره ابن عاشور «والنقض أبلغ في الدلالة على الإبطال من القطع والصرم ونحوهما»³⁶

وفي قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ البقرة (49)، يذكر الله اليهود بقصة فرعون وقومه وما فعله هؤلاء بهم، من استحياء لبناتهم وقتل كل ذكر يولد منهم، وتكليفهم بكل الأعمال الشاقة، وإذاقتهم أشد العذاب وأفظعه، فنجاهم الله من بطشه وجبروته المسلط عليهم، ويوضح ابن عاشور أن «حقيقة سام عرض السوم أي الثمن»³⁷، وبهذا تكون «الاستعارة التصريحية التبعية في قوله (يسومونكم): أي يذيقونكم، فإنه استعارة من السوم للبيع»³⁸ فبلاغتها تظهر من خلال إيجاز اللفظ الذي يؤدي إلى المعنى المقصود مباشرة.

وقوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ البقرة (61)، كانت فئة من اليهود معاصرة للرسول ﷺ، ملزمة بدفع الجزية ترهق وجوههم ذلة، ويتظاهرون بالعوز والفاقة مخافة أن تضاعف لهم، حيث «جعلنا محيطتين بهم إحاطة القبة بمن ضربت عليه، أو ألصقتنا بهم وجعلنا ضرب لازب لا تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرهم، كما يضرب الطين على الحائط»³⁹، ويرى ابن عاشور أن «الضرب تخيل لأنه ليس له شبيه في علائق المشبه»⁴⁰ فالمشبه به (ضرب الطين على الحائط) وهذا أمر حسي، وذكر المشبه (حالهم مع الذلة) بقرينة اللزوم وهو أمر عقلي، فهي مكنية تبعية فاجتمع كل من التخيل والتجسيم، وبلاغة هذه الاستعارة يتجلى من خلال تصوير حالهم مع الذلة جسما محسوسا، ثم خيل حركة له وهي الضرب، وكذا من انسجام التركيب وتآلف ألفاظه، واستعمال

صيغة الماضي في تركيب هذه الاستعارة دلالة على دفعهم للجزية وهم صاغرين مذلولين وملزمين بدفعها إلزاما لا ينفك عنهم.

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبَكُمْ﴾ البقرة(74)، وصف لقلوب اليهود بالجفاء والصلابة والغلظة الموجودة في الحجر نظرا لتكبرها وإعراضها عن الاعتبار وقبول الحق، فشبه قلوبهم بالحجارة في عدم التأثر بسماع الحكم والمواعظ فهي غير مجدية معهم، والأصل في القسوة «غلظ القلب وصلابته وعدم لينه لقبول الخير»⁴¹، فشبه القلوب في قسوتها وصلابتها وغلظتها، وأنها لا ينفذ إليها شيء من الحق والخير بالحجارة. فلفظ (الحجارة) أشد قوة وتوضيحا لما يوصف به من غفلة وجمود، فذكر المشبه به (قست قلوبكم)، وحذف المشبه فهي تصريحية تبعية. فهيمات أن تلين قلوبهم للحق أو تتأثر بموعظة، والصورة متأتية من جمادات البيئة، اختيرت الحجارة لما فيها من صفة ثابتة نقلت إلى صفة معنوية اتصفوا بها وهي قسوة القلب، وفي هذا النقل أثر بالغ في تقوية المعنى وتوضيحه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ البقرة(81)، رد الله على الذين قالوا لن تمسنا النار أنهم يتوهمون ذلك، فكل من كفر بالحق الذي أنزله وأحاطت به خطيئته فجزاؤه النار خالدا فيها أبدا، حيث «شبه الخطايا بجيش من الأعداء نزل على قوم من كل جانب فأحاط بهم إحاطة السوار بالمعصم، واستعار لفظة الإحاطة لغلبة السيئات على الحسنات، فكأنها أحاطت بها من جميع الجهات»⁴²، فاجتمع كل من التخيل والتجسيم، فصور الشيء المعنوي المجرد (الخطيئة) جسما محسوسا، ثم خيل حركة لهذا الجسم، قال سيد قطب «فبعد أن أصبح الخطيئة شيئا ماديا تتحرك حركة الإحاطة»⁴³، فسر بلاغتها يتجلى من حسن التصوير - الذي يعتبر الأداة الأفضل في أسلوب القرآن الكريم- بتقريب وتوضيح المعنى إلى ذهن المتلقي فهي استعارة تصريحية تبعية.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ البقرة(93)، صنع السامري من حلي اليهود عجلا جسدا له خوار، فشغفهم حبا وكانوا حريصين على عبادته بالمبالغة في حبه، فكأنما تشربت قلوبهم حبه ومازجها ممازجة المشروب، يرى ابن عاشور أن «الاشراب هو جعل الشيء شارباً، واستعير لجعل الشيء متصلاً بشيء وداخلاً فيه ووجه الشبه هو شدة الاتصال والسيان... فلذلك استعاروا الاشراب لشدة التداخل استعارة تبعية»⁴⁴ فشبه حب عبادة العجل، بمشروب لذيق الطعم سائغ للشاربين، فحذف المشبه به (المشروب اللذيذ أو الصبغ) ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الاشراب، فتصوير المعقول بالمحسوس تجعل من الصورة أكثر توضيحا للمعنى في ذهن السامع.

وفي قوله تعالى: ﴿يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ البقرة(143)، أراد الله أن يعامل عباده معاملة الممتحن ليعلم من يبقى مخلصا متبعا للرسول ﷺ، ممن يرجع ويرتد إلى الكفر معتقدا أن النبي في حيرة من أمره، حدث هذا بعد تحويل القبلة إلى بيت المقدس ومعنى «الانقلاب الرجوع إلى المكان الذي جاء منه،

ويقال انقلب إلى الدار وقوله (على عقبه)، زيادة تأكيد في الرجوع إلى ما كان وراءه لأن العقبين هما خلف الساقين أي انقلب على طريق عقبه وهو هنا استعارة تمثيلية للارتداد عن الإسلام رجوعاً إلى الكفر السابق»⁴⁵، فتخيل حركة حسية للارتداد توضيح للمعنى وتقوية له، حيث مثل صورة الذي يرتد عن الإسلام بصورة المنقلب على عقبه، وهنا يكمن سر بلاغتها.

في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ البقرة(168)، تحذير من اتباع آثار الشيطان والاقتراء به في عمل السوء والفحشاء وتحليل ما حرم وتحريم ما حلل، وأن لا يسلكوا طريقه الموصلة للهلاك، وذكر ابن عاشور أن «إتباع الخطوات تمثيلية»⁴⁶، ويقول سيد قطب في سر بلاغة الآية «فإن كلمتي: تتبعوا خطوات، تخيّلان حركة خاصة، وهي حركة الشيطان يخطو والناس وراءه يتبعون خطواته وهي صورة حين تجسم هكذا تبدو عجيبة من آدميين وبينهم وبين الشيطان الذي يسرون وراءه»⁴⁷، فهنا تصوير للمعنى وتوضيح له مع إيجاز في اللفظ، فطاعتهم لأوامره وقبول قوله فيما يدعوه تحقير وتسفيه لرأيهم، فهي ابلغ عبارة في معنى التحذير من إتباع وساوسه وسيرته في الإغواء والانقياد له.

في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ البقرة(250)، لما أراد طالوت وجنوده أن يقتلوا الكفار الجاحدين لأنعم الله، سلكوا سلوك المتأدب مع الله لاجئين متضرعين إليه ومستعينين به ليتمكنوا منهم، فدعوه بأن يفيض عليهم بالصبر وكأن الصبر ماء يفرغ على الجسم فيعمره كله، حيث شبه حال المؤمنين من قوم داود لما برزوا لجالوت وجنوده والله تعالى يفيض عليهم بالصبر بحال الماء الذي يصب ويفرغ على الجسم كله على سبيل التمثيلية، من بلاغة تركيب هذه الاستعارة في تأدية المعنى المراد تصوير الصبر وكأنه ماء يصب على الجسم، فهذا اللون من التصوير له تأثيره في قوة المعنى وتأكيده في ذهن المتلقي.

4. خاتمة:

من خلال ما تم تناوله في هذا البحث يتجلى لنا بأن الاستعارة لن تكون بليغة، ولن يكون لها أثر في توضيح المعنى وتقويته إذا كانت بذاتها وبلفظها المفرد، بل إن سر بلاغتها يكمن في تركيبها، أي في نظمها. كما اتضح أن الاستعارة تحمل في طياتها مضامين تداولية وهذا بتأثيرها في المتلقي، وعليه لا بد من استئناف قراءة التراث البلاغي قراءة لا تبني على استخراج أنواع المجازات وإخراجها من إطارها الفكري من خلال التطبيق المعياري الذي يجعل منها وسائل عقيمة لا تولد في ذهن المتلقي إلا الملل.

5. الهوامش:

- ¹ الجاحظ، أبو عمرو عثمان بن بحر، 1998، البيان والتبيين، تح عبد السلام محمد هارون، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص153
- ² عتيق، عبد العزيز، 1985، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، ص169
- ³ الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، مطبعة المدني، القاهرة ص 20
- ⁴ نفسه، ص 30
- ⁵ القزويني، الخطيب، 2003، الايضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص21
- ⁶ العسكري، أبو هلال، الصناعتين، تح علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، ص274
- ⁷ الجرجاني، عبد القاهر، 2007، دلائل الإعجاز، تح محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، ص306
- ⁸ نفسه، ص 407
- ⁹ طبل، حسن، 1998، المعنى في البلاغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ص126
- ¹⁰ نفسه، ص124،
- ¹¹ عتيق، عبد العزيز، 1985، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، ص176
- ¹² مسعد، محمد، 2018، البلاغة العربية بوجهة جديدة قراءة في الشاهد، دار أمجد، عمان، ص98
- ¹³ عتيق، عبد العزيز، 1985، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، ص181
- ¹⁴ طبانة، بدوي، 1958، البيان العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، ص313
- ¹⁵ عتيق، عبد العزيز، 1985، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، ص187/188
- ¹⁶ طبانة، بدوي، 1958، البيان العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، ص 314
- ¹⁷ القزويني، الخطيب، 2003، الايضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص231
- ¹⁸ مسعد، محمد، 2018، البلاغة العربية بوجهة جديدة قراءة في الشاهد، دار أمجد، عمان، ص61
- ¹⁹ مسلم أبو العدوس، يوسف، 2013، مدخل إلى البلاغة: علم المعاني، علم البديع، دار المسيرة، عمان، ص201
- ²⁰ الطاهر بن عاشور، محمد، 1984، التحرير والتنوير، ج 1، الدار التونسية للنشر، تونس، ص19
- ²¹ نفسه، ص254
- ²² الألوسي، محمود شكري، 1353هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، م51-ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص132
- ²³ أبي السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص37
- ²⁴ الهرري، محمد الأمين بن عبد الله، 2001، تفسير حقائق الروح في روابي علوم القرآن، ج1، دار طوق النجاة، بيروت، ص155
- ²⁵ الألوسي البغدادي، محمود شكري، 1353هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، م51-ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص146

- ²⁶ الطاهر بن عاشور، محمد، 1984، التحرير والتنوير، ج 1، الدار التونسية للنشر، تونس، ص 276
- ²⁷ الهرري، محمد الأمين بن عبد الله، 2001، تفسير حدائق الروح في رواي علوم القرآن، ج 1، دار طوق النجاة، بيروت، ص 217
- ²⁸ نفسه، ص 166
- ²⁹ الطاهر بن عاشور، محمد، 1984، التحرير والتنوير، ج 1، الدار التونسية للنشر، تونس، ص 299
- ³⁰ أبو حيان الأندلسي، محمد، 1993، البحر المحيط، ج 1، تح علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 205
- ³¹ الهرري، محمد الأمين بن عبد الله، 2001، تفسير حدائق الروح في رواي علوم القرآن، ج 1، دار طوق النجاة، بيروت، ص 185
- ³² مسلم أبو العدوس، يوسف، ط 3، 2013، مدخل إلى البلاغة: علم المعاني، علم البيان، علم البديع، دار المسيرة، عمان، ص 196
- ³³ الألوسي البغدادي، محمود شكري، 1353هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، م 51- ج 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 210
- ³⁴ الهرري، محمد الأمين بن عبد الله، 2001، تفسير حدائق الروح في رواي علوم القرآن، ج 1، دار طوق النجاة، بيروت، ص 257.
- ³⁵ الصاوي، أحمد عبد السيد، 1988، مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين، المعارف الإسكندرية، ص 142
- ³⁶ الطاهر بن عاشور، محمد، 1984، التحرير والتنوير، ج 1، الدار التونسية للنشر، تونس، ص 368
- ³⁷ نفسه، ص 492
- ³⁸ الهرري، محمد الأمين بن عبد الله، 2001، تفسير حدائق الروح في رواي علوم القرآن، ج 1، دار طوق النجاة، ص 405
- ³⁹ نفسه، ص 456
- ⁴⁰ الطاهر بن عاشور، محمد، 1984، التحرير والتنوير، ج 1، الدار التونسية للنشر، تونس، ص 527
- ⁴¹ الهرري، محمد الأمين بن عبد الله، 2001، تفسير حدائق الروح في رواي علوم القرآن، ج 1، دار طوق النجاة، حدائق، ص 511
- ⁴² الصابوني، محمد علي، 1981، صفوة التفاسير، ج 1، دار القرآن الكريم، بيروت، ص 73
- ⁴³ قطب، سيد، 2004، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ص 84
- ⁴⁴ الطاهر بن عاشور، محمد، 1984، التحرير والتنوير، ج 1، الدار التونسية للنشر، تونس، ص 611
- ⁴⁵ نفسه، ج 2، ص 24،
- ⁴⁶ نفسه، ج 2، ص 103
- ⁴⁷ قطب، سيد، 2004، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ص 77